الصحوة الإسلامية في صور فنية لدى إقبال

Islamic Renaissance in the Context of Iqbal's Poetry

د.أخلاق أحمد *
د.سميع الله زبيري *

ABSTRACT

There is no doubt that the term artistic image is one of the most technical terms used in the literary works and the study of poetic texts, because it is the effective means to show the poetic experiences with all the thoughts, feelings, and to reveal the influence and inspirations of words. On the authenticity of the poetic experience, and to prove the ability of the poet to form in a format that brings pleasure and experience to those who receive it. It grows and crystallizes within the poet with the poetic text itself, as represented in highlighting the delicate meanings and emotions of the troubled, and the serious thoughts through the technical composition of the spatial words through fluent speech, and strong expressions that raised by the internal presence rhythm and influence.

The artistic image is to achieve literary pleasure and intellectual pleasure through the artistic repertoire such as metaphor, borrowing and related rhetorical tools or through the words that lead to scenes and create expressive scenes, because they convey psychological experiences in paintings or emotional situations in scenes animating or moving, and make the static nature visible.

The researcher tried to explore the artistic value of some of these images in which the poet responded to the spirituality and Islamic awakening, which seeks to remove the ambiguity and inertia of his poetry, avoid monotonous boring repetition, and explore his skill in drawing paintings and his brilliant imagination and his noble vision and noble passion.

Keywords: *Iqbal, Rennisain, Artistic Image, Depiction.*

* أستاذمساعد في قسم اللغة العربية،الجامعة الإسلامية العالمية،إسلام آباد
* أستاذمساعد في قسم اللغة العربية،جامعة العلامة إقبال المفتوحة،إسلام آباد

ملخص البحث

لا شك أن مصطلح الصورة الفنية من أكثر المصطلحات الفنية تداولاً في الأعمال الأدبية ودراسة النصوص الشعرية، لأنها الوسيلة الفعالة القادرة على إظهار التجارب الشعورية بكل ما تحويه من أفكار وخواطر ومشاعر وأحاسيس[١]،والكشف عن طاقات الكلمات وإيحاءاتها،وهي تعدّ إحدى المعايير الهامة في الحكم على أصالة التجربة الشعرية، وإثبات قدرة الشاعر على تشكيلها في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاه[٢].فإنها تنمو وتتبلور في داخل الشاعر مع النص الشعري عينه، كما تتمثل في إبراز المعاني الدقيقة والعواطف المضطربة، والخواطر الجياشة عن طريق التشكيل الفنى الموحي عبر الكلمات الفصيحة الناطقة، والتعبيرات القوية المتراصة التي تثير بها الوجدان الداخلي إيقاعاً وتأثيراً.

وتقوم الصورة الفنية على تحقيق المتعة الأدبية واللذة الذهنية عن طريق الروافد الفنية كالتشبيه والاستعارة وما يتصل بهما من أدوات بلاغية أو عن طريق الكلمات التي توحى إلى مشاهد وتخلق مناظر ناطقة، وذلك أنها تنقل التجارب النفسية في لوحات فنية أو الأحوال الوجدانية في المشاهد الموحية أو المناظر المتحركة، وتجعل الطبيعة الجامدة مجسمة مرئية.

فالباحث يحاول في هذا المبحث استجلاء القيمة الفنية لبعض هذه الصور التي تصدى فيها الشاعر للنزعة الروحانية والصحوة الإسلامية كما يسعى بها إلى إزالة الغموض والجمود عن شعره، وتلافي التكرار الممل الرتيب،واستكشاف مدى مهارته في رسم لوحات فنية والإحاطة بخياله المتألق الظريف، ورؤيته السامية وعاطفته النبيلة.

المدخل

هذه الدراسة تتعرض للنزعة الروحانية التي تتمثل في الصور الفنية الرائعة في شعر إقبال، وقد هدف الباحث– عرض وتحليل– ما يتيسر له من الصور الفنية المبتدعة التي ابتكرها العلامة مُحَمَّد إقبال بمهارته الفنية وقدرته المتميزة وقوة ملاحظاته الدقيقة.

اعتمد الشاعر في انطلاقه من مضمون فكري ظاهر في صريح العبارة على قوة التصوير الفنى المحكم حيث لا يخلو– الشعر لديه – في أي حال من الأحوال من نفحة شعرية، وشعورية، وعاطفة فردية، وشعبية اجتماعية ثم عالمية، فالفكر ينطلق عبر الكلمات الناطقة والتراكيب الموحية التي تؤسس

(١) الدكتور رائد وليد جرادات،بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر):نازك الملائكة أنموذجا،مجلة جامعة دمشق،العدد:١-٢، ٢٠١٣،٢٩/٥٥٢

(٢) الدكتور جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،الدار البيضاء،لبنان،الطبعة الثالثة:١٩٩٢م،ص:٨

على أسس فنية بارعة لتحقق في الشعر روحاً تستهوى القلوب والأفئدة، لذلك نجد أن التمثيل ينطلق من الحركة التشخيصية التي يكتفي بها لإنتاج لوحات فنية طريفة، ولإعداد مشاهد فنية رائعة، بينما نجد–على الجملة –أن الشعر لا ينطلق إلا من مضمون فكري دقيق في أغراض مختلفة كما أنه لا يسمو إلى درجة الفن المتميز إلا بما يتجاوزه هذا المضمون من قوة التصوير الفني، وإبداع لوحات فنية دقيقة، اعتمادًا على إمكانيات الأداء وآليات البلاغة وأدوات الكلام حيث تبدو الصور ناطقةً والمشاهد ماثلة، والمناظر مرسومةً، والمواقف معروضةً، لذلك كان لزاماً على الباحث أن يعتنى بدراسة الصور الفنية المبتكرة لديه بعناصرها المختلفة، وأسرار تراكيبها المتناسقة، وأساليب تحليلها المتقنة، داعما بحثه بنماذج وأمثلة يكشف من خلالها مدى قدرته الفنية، وإمكانياتها التصويرية، ويستجلى من خلالها ثقافته الواسعة، وحضارتها الأصيلة، متطلعاً إلى معرفة مدى استعانته بالفنون الشعرية، والروافد البلاغية، والأدوات اللغوية، وبالتالي يقف على القيمة الفكرية والجمالية، وما يتسم به شعره من خصائص شعرية وشعورية.

التعريف بالشاعر

ولد مُحَّد إقبال بمدينة سيالكوت في باكستان الحالية،[١](١٨٧٧م)[٢] وفيها تلقى تعليمًا ابتدائياً ومتوسطاً، وقد أخذ العلم عن شيخه مير حسن حيث أتقن اللغة الفارسية والعربية فضلا عن الأردية، ثم التحق بالكلية الحكومية بجامعة بنجاب بلاهور وتخرج فيها، وقد حصل على شهادة الماجستير في الفلسفة، ثم سافر إلى لندن حيث التحق بجامعة "كامبرج" ونال شهادة عالية في الفلسفة، ثم الدكتواره من جامعة ميونخ في ألمانيا، وفي ٢١ أبريل سنة١٩٣٨م لفظ أنفاسه الأخيرة في حجر خادمه المخلص[٣]، ولبت روحه نداء ربها نداء مقضيا، وغربت هذه الشمس التي ملأت القلوب حرارةً ونوراً، وعلا الضجيج وكثر النشيج على موت هذا الشاعر العظيم، ودوت الأصوات في رثائه حزناً وألماً[٤].

يُعد إقبال شاعرا إسلاميا عالمياً وداعية كبيراً، قد وسع المجال في شعره إلى أغراض وفنون تتطلع إلى موضوعات إسلامية فضلا عن الأغراض التقليدية كالغزل والفخر والهجاء والرثاء وما إلى ذلك، وهو أول من

---

(١) ڈاکٹر شگفتہ زکریا، فکر وفنِ اقبال، سنگت پبلیشرز، لاہور، طبع اول: ۲۰۰۴ء، ص:۰۷

(٢) لا نستطيع أن نحدد تاريخ ميلاده تحديدا واضحا، ولذلك كثرت الأقوال في هذا الصدد، ويرجع تاريخ ولادته ما يتراوح بين ١٨٧٢–٧٧، ولكن جمهور المؤرخين والكتاب أجمعوا على تاريخ ولادته ١٨٧٧م، انظر: الدكتور سليم اختر، الدكتور أكبر حيدري كشميري،علامة إقبال حياته وفنه وفكره ترتيب، مقالة: تاريخ ولادة إقبال، سنك ميل بيليشرز،باكستان،الطبعة الأولى:٢٠٠٢ء،ص:٧٦

(٣) ڈاکٹر شگفتہ زکریا، فکر وفنِ اقبال، ص:۱۳

(٤) أبو الحسن علي الحسيني الندوي، روائع إقبال،مجلس نشريات إسلامية،كراتشي،الطبعة الرابعة:١٩٨٣م، ص:٦٨

وقف على فلسفة الذات والوجود ومعرفة الوجدان في الشعر الأردي، واتخذ لهذه الموضوعات أسلوباً رائعاً يجمع بين جزالة اللفظ وعذوبة المعنى في الصور الفنية الجميلة التي تخلع عن الشعر الجمود والتحجر والتكرار، ويغنى الأدب الأردي بصور فنية جميلة مبتكرة حيث أبقى مائدة حافلة لمن أتى بعده، فإذا الشعراء – على مرّ العصور– يقصدون معينه عن قصد أو غير قصد مبسطين أفكاره ومستلهمين نزعاته في انتاجاتهم.

لقد وعى إقبال في شعره القيم الإسلامية والمثل العليا، مما جلعه من أمراء الشعراء الإسلامين الذين نشأوا في شبه القارة الهندية، حيث شاعت في شعره المعاني الإسلامية الدقيقة، والأفكار العميقة النبيلة، والآراء الفلسفية التي تنسجم مع روح القرآن الكريم وانطلاقاته، كما ذهب إلى ذلك السيد أبو الحسن على الحسيني الندوي في كتابه روائع إقبال قائلا: "إن أعظم ما حملنى على الإعجاب بشعره هو: الطموح والحب، والإيمان، وقد تجلى هذا المزيج الجميل في شعره وفي رسالته أعظم مما تجلى في شعر معاصريه، ورأيت نفسي قد طبعت على الطموح والحب والإيمان وهي تندفع اندفاعا قويا إلى كل أدب ورسالة يبعثان الطموح، وسمو النفس، وبعد النظر، والحرص على سيادة الإسلام، وتسخير هذا الكون لصالحه، والسيطرة على النفس والآفاق، ويغذيان الحب والعاطفة ويبعثان الإيمان بالله، والإيمان بمحمد ﷺ وبعبقرية سيرته، وخلود رسالته، وعموم إمامته للأجيال البشرية كلها"(١).

شخصيته وثقافته

ثمة عوامل مختلفة، وعناصر متعددة التقت واجتمعت متآزرة على تكوين شخصيته الفذة، ولا شك أنها مدرسة في ذاتها، فلسفية في أفكارها، فنية في أسلوبها شكلاً ومعنى، وقد استرعت بعظمتها المتميزة، وثقافتها الواسعة، وعلمها الغزير انتباه الجميع شرقاً وغرباً، ولا تزال حتى اليوم بفضل الشعر الذي تجلت فيه عبقريته الخصبة المنتجة، وتهيأت لها من الثقافات، والمؤثرات الخارجية غذاء ملائماً، أسهم خير إسهام في إنمائها، وإنضاجها، وإبرازها في سعة مداها، ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

مما لا ريب فيه أنه قد أوتي – منذ صغر سنه– عقلا قويا سمحا، لا يضيق على نفسه في دقائق الأمور، كما أنه وهب ذاكرة قوية خارقة، مما أهلاه عن وعي لاستيعاب كل ما يدركه من علم، ومعرفة، ولغة وفكر، وكان يستطيع في لحظة واحدة على اكتشاف عوالم جديدة، وآفاق، واسعة، وقد ساعده على ذلك ما ناله من الثقافة العصرية والدراسات الغربية، ما بين الهند وإنجلترا وألمانيا، وما توفّر له من تجارب وملاحظات، واستدراكات، وما أثر فيه من الأساتذة البارعين تأثيرا كبيرا إذ غرسوا فيه حب العلم، وروح الدين، وفلسفة

(١) أبو الحسن علي الحسيني الندوي،روائع إقبال،ص:٣-٤

التصوف حتى بات من أفذاذ الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية، وأفكاره النامية، ومعانيه الناضجة، ونزعاته الدينية الخالدة[١].

وقد رزق إقبال نعمة الإيمان، ومحبة الدين، وصفاء الضمير والوجدان عن الوراثة، وتطورت معه هذه النعمة التي كانت مصدر قوته ومنبع حكمته، ورافقته طول حياته، وتفتحت معه في قريحته، وجادت وسالت معه في أغراضه وأفكاره، كما جرت في كيانه مجرى الدم، حيث بوأت له مكانة عظيمة في دنيا الفن والأدب وعالم الفلسفة والحكمة، وأغنته عن الملوك والسلاطين، وعن الأقيال والقياصر، ولم تفتر عنه ولم تغب حتى ينزلق مزلق الآخرين أمام المادة ومغرياتها، وتيار الحضارة الغربية الجارفة[٢].

وكان القرآن الكريم من أفضل وأقوى العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته عقلاً ومعرفة، وكان هذا التأثير ليس تأثيرا عاديا يزول مع الوقت، وينتهي مع نهاية فترة القراءة[٣]،بل ظل معه إلى آخر حياته، وقد وظف روح القرآن وحكمه في نظمه وإنشاده، واستقى مادة شعره من مناهل القرآن ومنابعه، وقد عاتب المسلمين عتاباً شديداً لما أعرضوا عن هذا الكتاب وأهملوه إهمالا قد أدى إلى سقوطهم وتدهورهم في أبيات جميلة مما يدل على مدى شغفه بالدين وولوعه به[٤].

وہ زمانے میں معزز تھے مسلماں ہو کر اور تم خوار ہوئے تارک قرآں ہو کر[٥]

نالوا العزة في زمانهم حين كانوا مسلمين وأنتم أصبحتم أذلاء بعد أن هجرتم القرآن[٦]

ومن المؤثرات القوية التي تستحق الذكر هي معرفة النفس والذات، والإمعان في أعماقها، والاعتزاز بقيمتها، والاحتفاظ بكرامتها، قد أسهمت إسهاماً كبيراً في بلورة شخصيته وبلوغها أوج الكمال، وهي في الحقيقة عبارة عن فلسفته العظيمة التي قام عليها شعره، وبلغ بها ذروة مجده، وكانت دواوينه الفارسية والأردية خير مثل لهذه النظرية الذاتية[٧]،كما في الأبيات التالية:

---

(١) الدكتور رفيع الدين هاشمي وآخرون،مائة سنة لإقبال، والمقالة السابعة، لأبي الحسن الحسيني الندوي، العوامل التي كونت شخصية إقبال،إقبال إكيديمي،لاهور، باكستان،٢٠٠٧م،ص:٦٧

(٢) *ڈاکٹر اکبر حسین قریشی،مطالعہ تلمیحات واشارات اقبال،اقبال اکیڈمی،لاہور،پاکستان،۲۰۰۴ء،ص:۵*

(٣) عبد الواحد،إقبال (فكره وفنه)، مترجم:نعيم الله ملك،أبو ذر ببليكيشن،لاهور،باكستان،ص:٣١

(٤) أبو الحسن علي الحسيني الندوي،روا ئع إقبال،ص:٤١

(٥) *علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،نواب سنز پبلی کیشنز،راولپنڈی،۲۰۱۰ء،ص:۹۰*

(٦) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،تقديم وتحقيق وترجمة:الدكتورحازم محفوظ،الآفاق العربية،القاهرة،مصر،الطعبة الأولى:٢٠٠٥م،ص:١٩٩

(٧) هاشمي،وسهيل عمروآخرون،مائة سنة لإقبال،العوامل التي كونت شخصية إقبال،ص:٦٧

اپنے من میں ڈوب کر پا جا سراغ زندگی تو اگر میرا نہیں بنتا نہ بن اپنا تو بن[١]

فتش سر الحياة، بعد ما تغرق في مراقبة نفسك لو لم تكن قريبا مني،فلا بأس،ولكن كن قريبا من نفسك[٢]

وكان سحر الطبيعة الفاتنة والنفحات السحرية من أكبر وأعظم العوامل التي يرجع الفضل إليها في تكوين سيرته وشخصيته، وفي قوة شعره وتأثيره، وانسياب الأفكار وتدفق المعاني، حيث يتصل بالطبيعة من غير حجاب، ويتعرض للنفحات السحرية، فيناجي ربه في آخر الليل بنشاط روحي جديد، ومن ثم يأتي بأشعار إسلامية مفعمة بروح دينية، وكانت هذه الساعات السحرية التي تدفع به لإيقاظ الآمال الجديدة والآماني النائمة مثل طلوع الفجر، وبزوغ الشمس، وبواكير الصبح، وطلائع البكورة التي تبدد الظلام، وتبث الأمل والعمل معا[٣].كما في البيت التالي:

کس قدر تم پر گراں صبح کی بیداری ہے ہم سے کب پیار ہے؟ہاں نیند تمہیں پیاری ہے[٤]

الاستيقاظ في الصباح (الباكر) ما أثقله عليك أنت لا تحبنا، ولكن تحب النوم[٥]

وبدأ يوقظ الأمة الأسلامية وشبابها من هذه الغفلة الجاهلية، ومن السبات العميق الذي غلب عليهم أكثر من قرن، ويحمس الشباب الإسلامي بقصائد مفعمة بروح الجهاد، وهو أول من طالب بوطن مستقل للمسلمين كي يمارسوا فيه شعائر الحياة الإسلامية، ويحافظوا فيه على القيم الإسلامية، والتعاليم الدينية في هذه البقعة. وقد أفسد أمرها وطأة الاستعمار الإنجليزي الهمجي الذي تحالف مع الهنود ضد المسلمين ظلماً و اضطهاداً، وفيما يلى مطلع قصيدته، عنوانها "أنشودة المسلم".

کبھی اے نوجواں! مسلم تدبر کیا تو نے وہ کیا گردوں تھا جس کا ہے اک ٹوٹا ہوا تارا[٦]

أيها الشاب المسلم، هل تدبرت يوما كيف كانت تلك السماء، التي أنت نجمها المكسور[٧]

(١) علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:١٣٦

(٢) علامة مُحَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٩٤

(٣) هاشمي،وسهيل عمروآخرون،مائة سنة لإقبال،العوامل التي كونت شخصية إقبال، ص:٧٦

(٤) علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:٨٩

(٥) علامة مُحَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:١٩٧

(٦) علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:٧٩

(٧) علامة مُحَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:١٩٥

النزعة الروحانية في صوره الشعرية

لايبلغ الأدب مبلغ الروعة الخالدة، ولا يرتقي إلى منتهى التأثير الفني، وغاية التفاعل مع الشعور الداخلي والخواطر الجياشة؛ إلا إذا تحلّى بالعاطفة الصادقة، والخيال المبتكر الطريف ترفدهما الأفكار السامية والقيم الخالدة، وذلك لأن المضمون هو روح الشعر ومصدر الإعجاب به، وهي الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر، ونجوى الوجدان الذي يهزبه قلب كل إنسان في كل زمان ومكان.

وقد كان إقبال يمتاز بذكاء حاد ونادر، وكما أنه كان شاعرا فطرياً مطبوعا ينزع منزع المصور الحاذق البارع الذي اجتمعت له ملكة التمثيل وقوة البيان، وسلامة الذوق، ورهافة الحس، توفرت له أفانين التصوير والتلوين، فلم ينشد الشعر لإرضاء الخواطر أو تلبية للقريحة الفنية، ولا تكسبا للجاه والمال والشهرة، بل نصب نفسه واعظا حكيما، وأخذ على عاتقه إصلاح الأمة، وتربية المجتمع، فعمد إلى النصح والإرشاد في خيال رائع حصيف حيث نظم شعره بطابع فكري يغذيه العقل المتزن، والخيال الفسيح العالي، وساعدته في ذلك كله ثقافته الواسعة، وإطلاعه الكثير العميق، وخلفيته الدينية الراسخة، وملاحظاته الدقيقة، واستدراكاته القيمة، فخرج شعره حاملا القوة الإيمانية، والفلسفة الروحانية، حيث يعبر عن العاطفة المتدفقة التي يمثلها الخيال كصور طافية تحوم أمام عيوننا، وتدخل كوامن الشعور وخلجات النفس، فيبقي تأثيره حيا مع طوال العمر ويتجدد في كل مرة حين تقبل عليه النفس قراءة واستحضارا[1]. كما يتجلى ذلك المزيج الإيماني حين يشارك الشعب في أفراحه وأتراحه، ويتألم لألمه، ويتوجع لوجعه لاتصاله به، ويحس ويشعر بالآلام التي حلت به ونزلت فصار لسان حاله حيث يرافق بين التأثير المؤلم وبين اللذة الشعرية، ويراوح بين الإيمان واللذة الروحانية التي تتسلى بها النفوس، وبين المتعة الأدبية التي تجعلهم إلى عالم آخر، ويستشرفون من خلال ذلك مستقبلا منيرا كما نرى في هذا البيت:

اٹھ کے بزم جہاں کا اور ہی انداز ہے مشرق ومغرب میں تیرے دور کا آغاز ہے[2]

انهض، فإن أسلوب محفل الدنيا (أسلوب) آخر وفي الشرق والغرب يكاد يبدأ دورك[3]

ضمیر لالہ میں روشن چراغ آرزو کر دے چمن کے ذرے ذرے کو شہید جستجو کر دے[4]

(١) أبو الحسن علي الحسيني الندوي،روا ئع إقبال،ص:٣٩-٤٠

(٢) علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:١١٧

(٣) علامة محمد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٤٥

(٤) علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:١٢٠

أشعل مصباح الأمنيات في قلب الوردة الحمراء واجعل ذرات البستان ضحية البحث[١]

نشعر بأن العاطفة صادقة وخالصة يحرك بها الشاعر النفوس الإنسانية وهي تتطلع إلى الله سبحانه تعالى، وتعود إلى الإيمان والتوحيد، وتسترجع لهذه الأمة المجد والشرف، وكما يتوجه في عجز البيت إلى استكمال موقفه وإتمام هدفه الأساسي حيث يطلب بوصفه داعية إسلامياً كبيراً، ويريد من المؤمن أن يكون ذا جهد متواصل وكفاح مستمر، وأن يقبل على العلم والبحث والتحقيق كل الإقبال، وألا يتخلف عن ميدان العلم والدراسة والتحقيق ليسهم إسهامات علمية بارزة تجاه رقي هذه الأمة الإسلامية، ونهضتها، ورفعتها، وسموها.[٢]

ولو أمعنا في البيت السابق لوجدنا أنه لم يتعرض لهذه المعاني الكريمة والأفكار النبيلة مباشرة بالأسلوب الخطابي الصادع، بل قدمها في صورة جميلة خلقها من قوة خياله وتصويره الفني الرائع حيث رمز للمؤمن بالوردة الحمراء، واختار الحديقة للدنيا، وصور الإيمان بالمصباح الذي يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الرشاد، ومن الجور إلى العدل، وهكذا كان ماهراً وحاذقاً في استخدام الأدوات الشعرية، والراوفد البلاغية حيث كان يجرى العاطفة والخيال يتوازان في إطار خدمة رسالته العظمى ويوظفهما فيما يريد.[٣]

وكان همّ الأمة الإسلامية الثقيل الكالح يضاجعه ويضايقه ولا سيما إذا آوى إلى سريره، وكان ينظر إلى أحوال المسلمين، ويتألم لألمهم، ويتوجع، ويحزن على هذه الأوضاع والظروف التعسة التي تمر بها الأمة الإسلامية بصفة عامة، ومسلمي شبه القارة بصفة خاصة، وكان يريد أن يوقظ الأمة الإسلامية ومسلمي شبه القارة من سباتهم العميق بشعره، ويريد أن يبعث فيهم روح الإيمان وحرارة الإسلام وجذوة الجهاد، فسمع أهل شبه القارة غناءه ونداءه، فأعجبوا به وأحبوه حباً جماً، وانتقل حب أهل شبه القارة إلى الشرق الأوسع، وإلى العالم كله بما يتضمن شعره من المعاني الأفقية والقيم الروحانية الخالدة في أخلية نادرةً وصور متبكرة كما نرى ذلك في هذه الأبيات :

غلامی میں نہ کام آتی ہیں شمشیریں نہ تدبیریں جو ہو ذوق یقین پیدا تو کٹ جاتیں ہیں زنجیریں[٤]

إن السيوف والتدابير لا تفيد في(حالة) العبودية وحينما تنشأ لذة اليقين (عندئذ) تنقطع السلاسل (بنفسها)[٥]

---

(١) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٤٨

(٢) غلام صابر،إقبال شاعر فردا،ص:٢٠

(٣) المصدر السابق،ص:٢٠

(٤) *علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:١٢٢*

(٥) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٥٠

كما نرى في هذا البيت أيضا :

نکل کے صحرا سے جس نے رومیوں کی سلطنت کو الٹ دیا تھا   سنا ہے یہ قدسیوں سے میں نے وہ شیر پھر ہوشیار ہو گا[١]

وهي التي قلبت سلطنة روما بعد ما خرج من الصحراء   سمعت من الملائكة أن هذا الأسد سيكون منتبها من جديد[٢]

لاشك في ذلك، فقد كان إقبال يحمل في نفسه روحا إسلامية خالصة، لا غموض فيها ولا عسر ولا التواء، وهذه الروح الإسلامية تحببه إلينا، وهي التي تجعله يتحكم في القلوب، ويستولي على العقول، ويستأثر بالمشاعر والأحاسيس، وكان يدعو إلى اليقظة الإسلامية، وإلى الصحوة الدينية، ويقود الأمة إلى الإسلام واسترجاع المجد، وإعادة ذلك الشرف والمنزلة، ويحثهم على الجهاد، وطلب الحق، وسيادة الإسلام، وقيادة المسلمين كما يقول أبو الحسن على الحسني الندوى: "ولكن مُحَمَّد إقبال يعتقد أن الصدمات السياسية التي أصيب بها العالم الإسلامي أقضت مضجع المسلمين، وأيقظتهم، ودبّ فيهم دبيب الحياة، يقول في قصيدته البليغة "طلوع الإسلام" إذا رأيت النجوم شاحبة منكدرة تخفق، فاعلم أن الفجر قريب، ها هي الشمس قد ذر قرنها من الأفق، وولى الليل على أدباره، إن عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى الإسلام، فإنما تتكون اللآلىء في البحر المتلاطم الهائج، لقد دبّ دبيب الحياة في الشرق، وجرى الدم الفائر في عروقه الميتة، وذلك سرّ لا يفهمه ابن سينا والفارابي، إن المسلم سيمنح من الله الأبهة التركية، والذكاء الهندى، والنطق العربى، ويقول في بيت: "إن إقبال ليس يائسا من تربته الحقيرة، فإنها إذا سيقت، أتت بحاصل كبير"[٣].

وقد صور لنا فلسفة الحياة الفانية لكل إنسان في كل زمان ومكان في هذه الصورة التي قد استمد مادتها أيضا من الطبيعة الساحرة المبتهجة، وكانت هذه الصورة تحكى لنا رؤية كاملة لموقفه.

زندگی انسان کی ہے مانند مرغ خوش نوا   شاخ پر بیٹھا کوئی دم چہچہایا، اڑ گیا[٤]

إن حياة الإنسان مثل الطائر جميل الصوت(المغرد)   (الذي) جلس لحظة على الغصن ، غرد ثم طار[٥]

---

(١) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:٦٢

(٢) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:١٤٧

(٣) أبو الحسن علي الحسيني الندوي،روا ئع إقبال،ص:١١١

(٤) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:٦٦

(٥) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:١٥٥

وقد تناول فلسفة الحياة في صورة حسية بصرية تعطى ألطف الإحساس، وأعظم الإدراك لعدم ثبات هذه الدنيا وفنائها، وإنها لا تستقيم لأحد ولا تتماشى مع أحد، وإنما مثل هذا الطير المغنى الجميل الذي يجلس على غصن من غصون الشجرة، ويغرد لبرهة من الزمن، ثم يطير، وهكذا فإن الإنسان يأتي إلى هذه الدنيا ليتنفس لمدة قصيرة، ثم يتوقف نشاطه بانتهاء أجله.[١]

ومما يلاحظ في شعر إقبال إعجابه بالوردة الحمراء وشيوعها في شعره حيث أنها كانت تحتل مكانة عالية، ومنزلة سامية في شعره، وكانت بالجملة أكثر تشبيهاته تدور حول هذه الوردة الحمراء، وصارت رمزا من رموز شعره، وعلامة من علاماته المشهورة، كما نراها في الصورة التالية أيضا:

خیاباں میں ہے منتظر لالہ کب سے قبا چاہیے اس کو خون عرب سے [٢]

الوردة الحمراء، منذ متى تنتظر في البستان؟ وإنما تريد الدماء، من قباء العرب[٣]

لقد أخذ هذا البيت من قصيدة إقبال المشهورة التي تعرض فيها لدعاء طارق بن زياد، وكان قد عبر البحر، ووصل إلى أسبانيا، فلما وصل إليها أحرق الفلك والمراكب وراءه، وعزم عزماً شديداً على فتح الأندلس، وقد صور طارق الأندلس في هذا الدعاء حديقة يانعة، وجنة خضراء ممتلئة بالزهور والورود، وكانت الوردة الحمراء التي تعتبر مبلغ جمال هذه الحديقة، ومنتهى حسن الربيع فيها تنتظر المسلمين العرب ليراقبوا ويشرفوا على هذا البستان الأخضر، وكانت هذه الوردة الحمراء تريد أن تلبس رداءً أحمر لتكون أكثر لمعانا وأزهى جمالاً وأعظم حسناً، ونرى أنه يشبه دماء العرب بالرداء الأحمر، وهذا الرداء ينزل على هذه الوردة الحمراء الذي يحافظ عليها من القطف والخطف، ومن الذبول واليبس.[٤]

وقد دعا إقبال في هذه الصورة دعوة الجهاد بطريقة مبتكرة، وصورة أخاذه حيث رغّب المسلمين على ذلك وشجعهم على الشهادة والاستماتة في سبيل الله لأجل إعلاء كلمته الخالدة، ونشر دعوته الصالحة، ولكنه تصدى لهذه المعاني السامية والدعوة العظيمة في خيال قد استمد عناصره من الطبيعة، وتناول الوردة الحمراء في صورة جديدة تريد أن تحفظ نفسها، وتصون كرامتها برداء المسلمين الذي قد نسج من دمائهم.

---

(١) ڈاکٹر خواجہ محمد زکریا، تفہیم بال جبریل، سنگ میل پبلیکیشنز، لاہور، ۲۰۰۶ء، ص:۲۵۹

(٢) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:۱۷۰

(٣) علامة محمد إقبال، الأعمال الكاملة، ص:٣٤٦

(٤) ڈاکٹر خواجہ محمد زکریا، تفہیم بال جبریل، ص:۲۸۱

نقد الحضارة الغربية في صوره الشعرية

كان رحمه الله يقصد الأذهان بالتأثير العاطفي والجمال الفنى المحكم، ويوجّه العقل الإنساني، حيث يملى عليه التوجيهات الإسلامية، ويذكّي في نفوس الناس عاطفة الإيمان، وجذوة الإسلام وقنديل الحضارة الإسلامية الخالدة حيث تتجلّى فيها قدرته على المزج بين الوظيفة التي يرغّب فيها للتصوير الفني الأدبي، وبين الغايات الإسلامية والمفاهيم الإيمانية التي حقّق فيها جدارته ومهارته على تغطية كلا الجانبين معاً، وهما المتعة العقلية، واللذة الذهنية، والإيحاءات الإيمانية، والخواطر الإسلامية التي تحرّك مشاعر الإنسان وانفعالاته تجاه المسؤولية العظمى التي خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان لأجلها، وها هو يوضّح للمسلمين ضلالة الحضارة الغربية، وفداحتها، ووخامتها في هذه الصورة التي تترك في النفس أبلغ التأثير.

تمہاری تہذیب اپنے خنجر سے آپ ہی خود کشی کرے گی جو شاخ نازک پہ آشیانہ بنے گا ناپائیدار ہو گا(۱)

ثقافتك تنتحر بخنجرك والعش الذي سيبنى على غصن ضعيف، لا يدوم(۲)

لقد خلق لنا الشاعر هذه الصورة لتدل على دناءة هذه الحضارة، وقد حدّد لها منزلتها حيث اخترع لنا بقوة خياله في صورة الجاني الذى يمسك في يده خنجراً حاداً، على سبيل الاستعارة المكنية، ويريد أن ينتحر بهذا الخنجر عند ما انكشف أمره على الناس، وظهرت حقيقته، ورأى عاقبته الوخيمة، ومستقبله في السجن والقيد حيث لا مفر له ولا انفلات منه على كل حال.

وقد صوّر حالة هذا المجرم الجاني بحالة هذا العش الذي بنى على قضيب ضعيف، ويرى هذا القضيب من بعد كأنه بنيان ثابت أو صرح عظيم، ولكنه يسقط بنفسه وينهدم داخليا لأساسه لم يقو وبنيانه لم يستقر.

ولقد أثر الشاعر في النفوس والأفئدة بضرب هذين المثلين، وصوّر لنا فيها أزهي منظرا لضلالة الحضارة الغربية، وثقافتها الفاسدة من داخلها، وكان إقبال من كبار نقاد الحضارة الغربية، وقد ألم بها وعايشها عن كثب، وتعمق في ثناياها وسبر أغوارها حتى غاص على استجلاء جميع وجوه الاستكراه، ومواطن الضعف ومواقع الانحطاط. وعمد في ضوء ذلك هداية المسلمين والأمة الإسلامية، ثم حاول تقريب الحقائق الأصلية والتجارب الصادقة لهم بضرب هذه الصورة المخفية.(۳)

وقد خلقت فينا هذه الصورة أثرا عميقا، لا يزول مع الوقت، بل يتجدد لكل من يريد القراءة زيادة المعرفة، كما يؤكد هذا المعنى في صورة أخرى أكثر دلالة، وأعظم وقعاً في النفوس، وأقرب إحساساً إلى تدهور هذه الحضارة وضعفها.

---

(۱) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:۶۳

(۲) علامة محمّد إقبال، الأعمال الكاملة، ص:١٤٧

(۳) مولانا غلام رسول مہر، مطالب کلام اقبال اردو، مترجم: شیخ غلام علی اینڈ سنز (پرائیوٹ لیمٹیڈ)، لاہور، طبع اول، ص:۲۲۹

دبا رکھا ہے اس کو زخمہ ور کی تیز دستی نے   بہت نیچے سروں میں ہے ابھی یورپ کا واویلا [(١)]

إن يد الموسيقي السريعة تضغط   إن ضوضاء أوربا غامضة[(٢)]

يكشف لنا الشاعر في هذه الصورة الفنية حقيقة الحضارة الغربية التي تقوم على النظريات الفاسدة والأفكار الملحدة، وإنها تخلو من الروح الدينية، والقيم الأخلاقية الإنسانية الخالدة،فيصورها بذلك المغنى الحاذق الذي يضرب على القيثارة الموسيقية بكل نشاط، وحماس، ويخرج الألحان الصارخة، والنبرات المرتفعة، والذبذبات اللاواعية، وكان يريد بذلك كله أن يغطي ويخفي وراء هذه الصرخات، والطلقات الطموح الديني، والنزعة الأخلاقية، والعكوف على الدين.

بيد أننا نرى أن هذا المعنى يحمل إليهم في ثناياه هذه الألحان والأغاني، والعواطف الفاسدة، والخواطر الماجنة حيث لا قيمة لشعرهم، ولا حلاوة لنظمهم، ولا إيقاع لنبرهم، ولا معنى لذبذباتهم،فلا فائدة لهم في هذا الغناء،بل إنه كان خاليا من الأمن، والخلق الطيب، والراحة المعنوية، إنما يزيد في التوتر، والتوعر، والثقل.[(٣)]

وقد لا حظنا في هذه الصورة الرمزية التي تحقّق من خلالها تقريب الحقائق إلى النفوس، واستبيان أقصى معاني هذه الحضارة، والتضلع فيها لاكتشاف رواسبها ومساوئها، فإنها بدأت تنادى بالحرية، وترفض المذهب والدين، وتنكر القيم الأخلاقية والمثل العليا، فصارت مثل هذه الألحان اللامعقولة، والأغاني اللاواعية، وأقبلت على المادة كل الإقبال، وارتاحت إلى الانتهازية كل ارتياح، فاستسلمت للمادة، وخضعت للنفس، وركنت إلى اللذة المؤقتة والتمتع القليل، ولها هيكل عظيم في ظاهرها، وباطنها فساد وخراب، وصرح عظيم لا أساس له، وكينونة ضخمة في إطارها، ومنخرطة في داخلها، مثل هذا الغناء الظاهرى لا شيء فيه غير هذه الصرخات والضوضاء والشنشنة كما نرى في البيت التالي كذلك.

گرچہ ہے دلکشا بہت حسن فرنگ کی بہار   طائرک بلند بال! دانہ ودام سے گزر[(٤)]

مع أن ربيع الفرنجة جذاب وجميل   إنها الطائر،طويل الريش،امض من (قيد) الحبكة والشبكة[(٥)]

ويرسّم لنا الشاعر صورة أخاذة في صورة "التشبيه الضمني" حيث يشبه الحضارة الغربية في بهجتها، ومسراتها، وترفها الهائل، ونعيمها الطائل بالشبكة التي نصبت وأقيمت لتصطاد بالمرصاد كل طائر طويل

---

(١) علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:۱۴۴

(٢) علامة محمّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٨٨

(٣) ڈاکٹر خواجہ محمد زکریا، تفہیم بال جبریل،ص:۶۲

(٤) علامہ محمد اقبال،کلیات اقبال،ص:۱۴۶

(٥) علامة محمّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٩٣

الريش، عظيم الهدف، على المنزل، وكان من الطير ما لا ينظر إلى العاقبة، وينسى الهدف الأسمى، ويقبل على الحبوب دون الإحساس بهذه الشركة، ويسقط على هذه النعمة والمتاع القليل، وعدم معرفة العواقب والمصير، وإنما يخدع نفسه حتى يلقى بها إلى التهلكة.

ومما يحمد لإقبال في هذا الصدد، إنه لا يقصد المعاني العادية المتمثلة في هذا التشبيه العادي، وذلك لأن تشبيه الشركة للصياد بالحبوب تشبيه متناول، إذ لا يوجد فيه ابتكار لا كليا ولا جزئيا، ولكننا نرى من خلال هذا التشبيه الرؤية البعيدة التي قد قصد إليها، والخيال البديع الذي أراد أن يحيط به هداية، ووقاية لنا من سوء هذه الحضارة الضالة، حيث وضع لنا هذا الإحساس العميق، والخاطر القوي على لوحة فنية سهلة الإدراك، عميقة الفكر، بعيدة المدى والشأو، وهو لأن هذه الحضارة الغربية الضالة إن كانت تدعو إلى المسرات، واللذات، والترف، والبذخ، وهي تقود الإنسان من الداخل إلى الهلاك والدمار لكونها خالية من التربية الأخلاقية، والقيم الروحانية العظيمة، والكرامة الإنسانية، ومن ثم تفقد في كيانها لمتبعيها الراحة القلبية، والإطمئنان الداخلي، والهدوء المريح، فلجأ إلى هذه الصورة التشبهية إلى تحقيق وتقريب هذه الحقيقة الثابتة إلى أعماق قلوبنا مشاعرنا.

العاطفة الصادقة لديه

كانت العاطفة إحدى الأدوات الشعرية التي يريد بها إقبال أن يقرب الحقائق إلى الأفهام والعقول، وإلى الإدرك والشعور، بصياغة جميلة، وأسلوب فنى متقن، فيغوص وراء المعاني العميقة والأفكار الدقيقة بفضل ثقافته الواسعة، واطلاعه الكثير، ويحسن استخلاص النتائج المثمرة من المقدمات بطرق علمية.

فيتحلى شعره بالعاطفة الإنسانية الخالدة التي تتمثل في الطموح، والحب، والإيمان، وسمو النفس، وبعد النظر، وعميق التجربة، والحرص على سيادة الإسلام، لأنه يصدر عن نفس وراءها قلب صادق، وينساق عن عقل وراءه نور وإيمان، ويندفع عن فلسفة وراءها روح إسلامية، فبثّ هذه المشاعر الروحانية، والعواطف الخالصة في شعره محافظا على الروعة الفنية، والجودة الشعرية، والقوة البيانية حيث لم يدع للعقل مجالا يطغى على فن الشعر فيضعف مستواه، وتذهب روعته، كما لم تضلله الأخيلة البعيدة عن مدار الإدراك والشعور، وعن تأملات الفطرة وملاحظاته، فيصير الشعر عاجزا عن تحقيق المتعة الفنية، وأداء الوظيفة الأساسية، والرسالة الخالدة، والهدف الأسمى، فيذكر لنا في هذه الأبيات صفات الأتراك الحسنة،من حيث تمسكهم بالدين الإسلامي الذي اعتصموا به اعتصاما قويا كالعروة الوثقى، وكانوا خير القائمين عليه، وأنجزوا إنجازات باهرة وأحرزوا قصب السبق في جميع الميادين وكافة الحقول، ولم يكونوا متزودين بتلك الأسلحة، والأدوات الحربية المستحدثة التي تسلح بها اليونانيون والرومان الذين زحفوا عليهم كالنسور، لكنهم أخفقوا في هذه الحرب، وفشلت جهودهم، وغرقت سفنهم التي كانت

تسير في ظلمات البحر وتقعراته، بينما نجحت تلك الوجوه التي كانت نواصيها متلطخة بالتراب والطين من كثرة السجود لخالقهم ومالكهم وبارئهم، ولم يقاتلوا ولم يجاهدوا إلا لأجل إعلاء كلمته الخالدة، ونشر دعوته السماوية الربانية،(١)وتلك هي العواطف النبيلة المحترمة النقية التي يبثها هذا الشاعر – الداعي الكبير– في النفوس والقلوب حيث لا ينضب معينها ولا يخبو أوارها، وأخذ يشحذ مشاعرنا ويشجع هممنا على أن نجدد تلك الإنجازات الباهرة والمآثر الخالدة، وأن نسترجع ذلك الشرف المفقود والمجد الغابر،وأن نستعيد للأمة ذلك التشخص الكامل، والهوية المستقلة، وأن نرد إلى هذه الأمة تلك السيادة والرئاسة التي كنا نحظي بهما، ونعتز بهما في العالم الإنساني اعتزازا وافتخارا، وكم كانت هذه السيادة والقيادة متميزة في المعمورة لما فيها من عدل، وإنصاف، ومساواة، وأخوة، واحترام للإنسانية، وكرامة للحضارة الإنسانية العظمي.(٢)

عقابی شان سے جھپٹے تھے جو بے بال وپر نکلے　　ستارے شام کے خون شفق میں ڈوب کر نکلے
ہوئے مدفون دریا زیر دریا تیرنے والے　　طمانچے موج کے کھاتے تھے، جو بن کے گہر نکلے
غبار رہگذر ہیں، کیمیا پر ناز تھا جن کو　　جبین خاک پر رکھتے تھے جو، اکسیر گہر نکلے (٣)

رحل الذين وثبوا كالعقاب، بلاجناح ولاريش، السباح صار مدفوناً (غارقاً) تحت النهر (الفلاسفه) الذين كانت تفتخر بهم الكيمياء، صاروا غبار الطريق

وطلعت النجوم بعد أن غرقت في دماء الشفق وهو الذي كان يصطدم بالأمواج، ويصبح لؤلؤا والذين كانوا يصنعون جبينهم على الأرض، أصبحوا يجدون الإكسير(٤)

وكان إقبال يعد أكبر شاعر فلسفي وروحاني، تهيأله مالم يتهيأ لغيره من سلامة الفطرة، وعذوبة المعاني، وحرارة الروح الإيمانية، وطلاقة البديهة، وسعة الثقافة، فأجاد التعبير عن خلجات النفس، وخواطر الشعور، فأصبح شعره–من ثم– يصلح لكل زمان ومكان، ولكل عصر ومصر، وذلك أنه في شعره داعية إلى قول أجمع، وبيان أوسع، وبرهان أنصع في أسلوب أجذب للقلب، وأخلب للب، وأصغى للأسماع، وأدنى إلى الاقناع، وكان يستمد مادته من الذكر الحكيم، كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم كما نرى في هذه الأبيات إذ صوّر لنا منظراً جميلاً ورؤية حسية ما كان عليه الناس في العصر الجاهلي قبل بعثة الرسول ﷺ.

(١) ڈاکٹر خواجہ حمید یزدانی، شرح بانگ درا (لغت اور تشریح)، سنگ میل پبلیکیشنز، لاہور، طبع اول، :٢٠٠٦ء، ص:٤٥٠

(٢) غلام صابر،إقبال شاعر فردا،ص:٢٩

(٣) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:١٢٢

(٤) علامة مُحَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٥٢

ہم سے پہلے تھا عجب ترے جہاں کا منظر   کہیں مسجود تھے پتھر، کہیں معبود شجر[١]

كان منظر العالم قبلنا عجيبا   كانت الأحجار يسجد لها في مكان، وكانت الأشجار تعبد في مكان آخر[٢]

وهكذا خلق لنا صورة ينتقل منها بالعاطفة إلى الروح، ورسم لنا لوحة فنية تشرق ألفاظه البسيطة السهلة كالمصابيح، حيث يعطي كل مصباح منظراً جذاباً، وصورة أخاذة، كما نرى في هذا البيتتمكنه من إعطاء صورة للمساواة، والتفاضل، والتفاوت بين الناس بالعدل والإنصاف إذ لا فرق بين حاكم، ومحكوم وبين ملك، ورعية وبين غني، وفقير، في الصلاة في صف يستوى فيه الأغنياء والفقراء، والملوك والعامة، والحكام والمحكومين في كلمات بسيطة تخلق لنا رؤية حسية، وتوحى بمنظر أكثر جذبا، وأقدر إدراكا.[٣]

آگیا عین لڑائی میں اگر وقت نماز   قبلہ رو ہو کے زمیں بوس ہوئی قوم حجاز

اک ہی صف میں کھڑے ہو گئے محمود ایاز   نہ کوئی بندہ رہا اور نہ کوئی بندہ نواز

بندہ صاحب ومحتاج وغنی ایک ہوئے   تیری سرکار میں پہنچے تو سبھی ایک ہوئے[٤]

لوحل وقت الصلاة في وقت الحرب   فشعب الحجاز توجه إلى القبلة وسجد

لقد قام محمود الغزنوي وأياز في صف واحد (في الصلاة)   ولم يكن هناك فرق بين الولي والعبد (الحاكم والمحكوم)

إن العبد، والسيد، والفقير، والغني صاروا وحدة   حينما وصلوا إلى حضرتكم صاروا متساوين[٥]

كما أنه غذى شعره بالعاطفة الصادقة التي تتمثل في الخيال النادر الرائع الذي يضبط الشعور ويسيطر على المخيلة، فيردها إلى حدود الجمال الفني المحكم، وإطار الجودة، وحيز الصور الناطقة الموحية حيث لا قيمة للعاطفة بدون خيال، ولا يرتاح هذا الخيال إلا إلى هذه العاطفة الإنسانية الخالدة المتمثلة في الصور، ويتجلّى هذا المزيج المتآزر في شعره، وفي رسالته أعظم مما تجلى في شعر معاصريه، وهذه هي أهم العناصر والعوامل التي تجعل شعره حيا في القلوب، باقيا فيها، مسايرا لكل عصر ومصر، وذلك لأنه يحمل

(١) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:٧٣

(٢) علامة محمّد إقبال، الأعمال الكاملة، ص:١٦٨

(٣) مولانا غلام رسول مہر، مطالب کلام اقبال اردو، مترجم، ص:٢٧٧

(٤) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:٧٢

(٥) علامة محمّد إقبال، الأعمال الكاملة، ص:١٧٠

رسالة إلهية، وفكراً سليماً، وروحا دينية، في صور فنية موحيه يأسر بها النفوس، ويملك بها الألباب، وكما كان يتغلل منها إلى أعماق القلوب وأدق المشاعر في هذا البيت:

میری مشاطگی کی کیا ضرورت حسن معنی کو　　　که فطرت خود بخود کرتی ہے لالے کی حنا بندی [(١)]

إن حسن المعنى، ليس في حاجة إلى زخرفتي　　　لأن الفطرة تحيط بالحناء بنفسها[(٢)]

كان إقبال يدعى في هذه الصورة بأن شعره لا يحتاج إلى زخرفة، ولا يفتقر إلى تزين داخلي وخارجى، وذلك لأنه يحمل في طياته موضوعات قيمة ذات توجيهات دينية، وقيم خالدة، وطقوس إسلامية حيث لا حاجة لاستخدام الكلمات المصطنعة، ولا التراكيب المكلفة، ولا الأوزان الثقيلة كما نرى في حالة الوردة الحمراء التي تنشأ في الأرض محمرة منفتحة من فطرتها الطبيعة، وجبلتها الخليقة التي خلقها الله بها، وهكذا أنها لا تحتاج إلى الحناء ولا تزين ولاتبتل.

ومما لا شك فيه أن شعر إقبال يحمل هداية وإرشادا للناس، ويعتبر أفضل تعبير عن القيم الإسلامية وعبارة عن روح الدين، وهداية لمن يريد التقوى والفوز، وقد صوّر لنا الشاعر هذا المعنى في صورة توحي إيحاءً جميلا، وتفيد رؤية أجمل وأحسن، كما نرى ذلك على سبيل المثال في تشبيهه حيث شبّه شعره بالشعلة المشتعلة ولهيبها بالنواح، وهي توقد وتضاء كالقنديل، ولا تقدر ولا تعرف قيمتها إلا في الليل المظلم الحالك، وتزاد أهيمة هذا القنديل لتلك القافلة التي قد أضلت الطريق وأخطأته في هذه الليلة المظلمة، وهذه القافلة تريد أن تلحق بالهدف والغاية المنشودة، فشعرى هذا يعمل عمل القنديل، ويبدد الظلمات الداجية، ويكشف لها الطريق السالك في هذا الظلام العميق.[(٣)]

اندھیری شب ہے، جدا اپنے قافلے سے ہے تو　　　ترے لیے ہے مرا شعلہ نوا قندیل[(٤)]

إن الليل مظلم، وأنت مفارق قافلتك　　　فنواح شعلتي، لك كالقنديل[(٥)]

فرسم لنا إقبال هذه الصورة الرائعة التي يحاول أن يرشد من خلالها الأمة الإسلامية تجاه الخير والحق حيث صوّر لنا هذه الدنيا كالليلة الحالكة قد سادها الظلام، وعمها الدجى، وكان المسلمون قد أضلوا الطريق المستقيم بها، وأخطأوا، وكانوا يتيهون تيها لا مخرج له، ويحومون حوما بدون دليل ومخرج في الصحراء المقفرة.

---

(١) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:١٤١
(٢) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٢٨٢
(٣) ڈاکٹر خواجہ محمد زکریا، تفہیم بال جبریل، ص:١٧٣
(٤) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:١٥٧
(٥) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٣١٦

وفي هذه الحالة القاسية يظهر شعره كالقنديل الذي يبدد الظلمات، ويمهد لهم الطريق السالك لكي يصلوا إلى غايتهم آمنين هادئين، ويتكرر هذا الفكر في بيت آخر في صورة أخرى.

صفت برق چمکتا ہے مرا فکر بلند کہ بھٹکتے نہ پھریں ظلمت شب میں راہی[١]

إن فكرى السامع يلمع، مثل البرق كي لا يضل المسافر الطريق في ظلمة الليل [٢]

وهنا رأينا أنه يشبه شعره مرة أخرى بالبرق الذي يلمع في الليل المظلم، وكأن المسافر الذي قد ضل الطريق، وزاغ عن الغاية يسترشد به في هذا الليل، وكان يضرب لنا هذه الصورة لتحمل إلينا هذه الأفكار الفلسفية، ويرى ظلام الدنيا كأنه هذه النظريات الفاسدة، والأفكار الضالة، وكان الناس قد تورطوا فيها، وزاغوا عن الهدف الأسمى، وكادت هذه النظريات تغلب العالم كله، وتغطيه بجميع جوانبه، فإذا شعره يظهر كالبرق وينير الطريق لمن يتوخى الهداية،ويتحرى الرشاد، ويضيء السبيل لمن يرجو الوصول إلى الغاية، والبلوغ إلى الحق المنشود[٣].

وقد ظهر لنا خلال هذه الصور الرائعة أن الشاعر سخّر قريحتة لتوظيف التوجيهات الإسلامية، وإيغال النظريات الفلسفية التي تترجم عن الحضارة العربية الإسلامية الخالصة، فرسم لنا أعظم هذه المشاعر الدينية والعواطف الإسلامية التي يريد من خلالها هداية الأمة، وإرشادها، وتوجيهها نحو الخير والفلاح كما اتضحت لنا في هذه الصور المطروحة.

خاتمة البحث وأهم النتائج

تناولت في مستهل هذا البحث مفهوم الصورة الفنية، ومكانتها، وماهيتها، ووظيفتها الأساسية في النص الشعري، والحكم على أصالة التجربة لدى الشاعر، وقدرته على تشكيلها تشكيلا يحقق المتعة واللذة لدى المتلقى، ثم تتبعت حياته الفنية والأدبية مراعياً العناصر والعوامل التي اجتعمت وتآزرت في إبراز شخصيتيه الفذة، وحاولت الوقوف على الأبيات الشعرية التي تحمل صورا فنية رائعة تدعو فيها إلى الصحوة الإسلاميةن والنزعات الروحانية والعواطف الإيمانية بمهارته الفنية البارعة، وثقافته الواسعة، واستدركاته الدقيقة، وملاحظاته العميقة.

---

(١) علامہ محمد اقبال، کلیات اقبال، ص:۱۶۱

(٢) علامة مُحَمَّد إقبال،الأعمال الكاملة،ص:٣٢٤

(٣) ڈاکٹر خواجہ محمد زکریا، تفہیم بال جبریل، ص:۲۰۴

استجليت القيم الجمالية والسمات الفنية التي يتميز بها، والتي امتد أثرها في الأغراض الشعرية المختلفة ولا سيما في نقد الحضارة الغربية، وإصلاح الأمة، وتربيتها، وبيان فلسفته، واتضح أثرها جلياً في الصور الفنية الرائعة.

وفي نهاية المطاف سجلت أهم النتائج التي توصلت إليها خلال كتابة هذا البحث، وصنفت قائمة المصادر والمراجع حسب الترتيب الأبجدي مع ذكر فهارس الموضوعات ليتنى للقارىء الاطلاع على أهم موضوعات البحث بكل يسرٍ وسهولةٍ.

- الصور الفنية مصطلح حديث في فن الشعر العربي، ولا شك أنها وسيلة حتمية لإدراك نوع متميز من الحقائق التي تعجز اللغة العادية عن توصيلها للمتلقى، وبالتالي هي الوسيلة الفعالة التي تكسب الشعر جمالاً وقدرةً على النفاذ إلى النفوس لتقبل النص الشعري وتتفاعل معه.
- الصورة الفنية تعتبر المعيار الأساسي في الحكم على أصالة التجربة لدى الشاعر، وقدرته على تشكيل تجربته الشعرية في نسق يحقق المتعة واللذة للمتلقي.
- يعد الشاعر العلامة محمد إقبال من أعظم الشعراء الإسلاميين الذين أثروا في المتلقي عبر أسلوبه الشعري الجديد النابع من فكره، وخياله التصويرى البديع المستمد من منهل القرآن ومعينه، وعاش جاهدا لإيقاظ الأمة، وإرشادها بأشعاره التي عملت على حثّ، وتشجيع، واسترجاع المجد، واستعادة الشرف الإسلامي القديم، فضلا عن نشاطه الإبداعي والفني إحياء، وإضافةً، وزيادةً على ما فعله الشعراء السابقون.

يتميز رحمه الله تعال في وصف الطبيعة حيث يربط من خلالها عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته بفلسفته وتصوفه، فيسلم خياله إلى فطرته وجبلته الإسلامية ليخلق مناخاً إسلامياً، وبيئة روحانيةً إلى درجة أنه اخترع كلمات ورموز إسلامية مثل العقاب الذي شبه المؤمن به، والحديقة للدنيا والبلبل ويقصد به نفسه، وغير ذلك.

